Revue Traduction et Langues Vol 6 N°1/2007, pp. 69-76

البعد الثقافي في روايات نجيب محفوظ

The cultural dimension in the novels of Naguib Mahfouz

بلقاسمي حفيظة

جامعة وهران ـ الجزائر

belkacemi.hafida@gmail.com

Résumé : *Cet article analyse les problèmes culturels qui apparaissent dans les traductions des romans de l'écrivain égyptien Naguib Mahfouz, lauréat du prix Nobel en 1988, premier écrivain arabe et seul à ce jour, à être couronné par une si haute distinction officielle. Enfant de Kahn El Khalil, quartier populaire du vieux Caire, Les ruelles, les impasses et les passages « Hawari » de ce lieu constituent la trame topographique de ses romans les plus universels. Sa connaissance intime des quartiers populaires et du tissu social en ont fait un formidable témoin de cette ville fascinante qu'est le vieux Caire. L'article démontre que certains traducteurs ne se sont pas bien rendu compte de l'importance du contexte culturel dans la détermination de la signification du texte dans la langue source. Ces problèmes traductionnels sont, sans aucun doute susceptibles d'altérer ses œuvres et de réduire le plaisir que les lecteurs en escomptent. En dépit de nombreuses erreurs de traduction qui ont parfois touché le sens, la traduction de ses œuvres a permis au monde entier de découvrir le talent de cet écrivain incomparable.*

Mots clés : *traduction littéraire, élément culturel, Naguib Mahfouz, intraduisibilité.*

Abstract: *This article analyzes the cultural problems that appear in the translations of the novels of the Egyptian writer Naguib Mahfouz, winner of Nobel Prize in 1988, the first Arab writer and the only one to date, to be crowned with such a high official distinction. Child of Kahn El Khalil, a popular district of old Cairo, the alleys, dead ends and "Hawari" passages of this place constitute the topographic framework of his most universal novels. His intimate knowledge of popular neighborhoods and the social fabric made him a formidable witness to this fascinating city that is Old Cairo.*

The article demonstrates that some translators have not fully realized the importance of cultural context in determining the meaning of the text in the source language. These translational problems are undoubtedly likely to alter his works and reduce the pleasure that readers expect from them. Despite numerous translation errors that have sometimes touched the meaning, the ***translation of his works has allowed the whole world to discover the talent of this incomparable*** *writer.*

Keywords: *literary translation, cultural element, Naguib Mahfouz, untranslatability.*

يُجمع جل منظري الترجمة ورجالات الأدب على صعوبة الترجمة الأدبية، لأن النص الأدبي لا يحمل في طياته فكرة أو مجموعة أفكار، بل يشمل أحاسيس المؤلف وعواطفه وتخيلاته. فالترجمة الأدبية

Corresponding author : Belkacemi Hafida

كثيرا ما تُرمى بقصورها عن نقل فحوى الأصل نقلا فنيا أمينا كما يُرمى مترجم النص الأدبي بخيانته لمضامين النص الأصلي وبعجزه على سكب الروح الفنية في النص المترجم.

إن المترجم عموما والمترجم الأدبي بوجه خاص، لم يُرقّ دائما إلى المنزلة التي يستحق، بل إن أصابع الاتهام وجهت إليه في الكثير من الأحيان، فألصقت به أبشع النعوت حتى بات ذلك الخائن الرجيم. أما ترجماته فما هي إلا نسخ عن الأصل باهتة، فقيرة، لا ترقى إلى مستوى الأصل

« ...jamais le texte traduit n'aura la positivité d'un original... toujours de 'seconde main' imitation médiocre et besogneuse, vile copie...»[1]

ويزداد الأمر تعقيدا إذا كانت الصعوبات التي يواجهها المترجم ليست لغوية بقدر ما هي ثقافية حضارية. فباختلاف لغة وثقافة الهدف، تظهر عوامل تحُول دون كتابة نسخة طبق الأصل للنص المصدر، فأين يكون المترجم من الأمانة؟

إن الأمانة على حد تعبير 'دوليل' (**Delisle**) مفهوم نسبي ومطاط لا يمكن تحديده بالمطلق إذ يقول:

«La fidélité est une notion relative qui ne peut être définit in absoluto et in abstracto »[2]

ويتوقّف هذا التحديد على الاستراتيجية التي ينتهجها المترجم في ترجمته من جهة، وكذلك على وظيفة النص وهوية المستهدف من جهة أخرى.

وقد تم اختيار مصطلح 'الأمانة' مقابلا لـ **'fidélité'** بدلا من 'الوفاء' أو 'الإخلاص'... ذلك أن المترجم يعتبر مؤتمنا على المعنى. وبذلك فإن التزام الأمانة حيال النص تتمثل في ضرورة مراعاة عاداته اللغوية والثقافية ونقله إلى نص مقروء، لا يشوبه غموض.

ولعلّ إثارة مسألة استحالة الترجمة يكون ناتجا عن الاعتقاد بأن المتلقي في اللغة الهدف، بفعل اختلاف انتمائه الثقافي، مغاير للذات، فالتواصل في ظل هذا الاعتقاد ممكن مع المثيل ومستحيل مع الآخر.

[1] Beman, Antoine, la traduction et la lettre ou l'auberge du lointain, coll. L'ordre philosophique, seuil, Paris,1999, p46.

[2] Delisle, Jean, Séminaire Doctorale de l'ETIB, Avril, 1998.

ISSN : 1112 – 3974

وفي الحقيقة، أن هذا الأمر ليس أمر مُسلم، لأن الاختلاف قد يدفع التواصل ويُغنيه. وهذه الفكرة يؤكدها 'ادمون مارك ليبيانسكي' (**Edmond Marc Lipianski**) في الكتاب الذي وضعه حول التواصل بين الثقافات بالتعاون مع 'لادميرال' (**Ladmiral**) :

« la différence…peut être un stimulant et un enrichissement »[3]

ولعلّ من أهم الأسباب التي تجعل مترجم النصوص الأدبية يقع في مطبات ومزالق تجر به بعيدا عن معاني النص في اللغة المسطور بها هو حرصه على المحافظة على الغيرية الثقافية الغريبة عن متلقيه وعدم سعيه إلى تكييفها واستيعابها إن واجه صعوبات وتعذرت عليه الترجمة. فمثلا إن صادف المترجم العربي التعبير الإنجليزي المتداول '**a tempest in a teapot**' فإنه لن ينقله بـ' عاصفة في إبريق شاي ' من باب الأمانة، لأنه يعلم أن المتلقي العربي لا يُعلق في حضارته على الشاي الأهمية التي يعلقها الانجليزي وإنه سيجهد نفسه في محاولة فهم المقصود (المعنى). فمن الضروري في هذه الحالة أن يلجأ المترجم إلى **تعبير معادل** يألفه المتلقي العربي 'زوبعة في فنجان'، **فأمين هو إن عادل.**

إن أعمال الأديب العالمي نجيب محفوظ من بين أهم النماذج المجسّدة لهذه الإشكالية لما تحويه من عادات وتقاليد وقيم ومبادئ لصيقة بالمجتمع المصري. فقد ولد محفوظ بحي الجمالية، قلب القاهرة القديمة، وعلى الرغم من أن أسرته غادرت الجمالية عندما كان في الثانية عشر فإن حواريها وخليط الطبقات الاجتماعية فيها بقي مركز عالمه الروائي، فعرف كيف يصور وينقل في رواياته القاهرة بأحيائها وسكانها لكل قارئ عربي كما كان الفضل للترجمات في نقل نصوص محفوظ للعالم الغربي.

لقد سجلنا العديد من الانزلاقات خلال قراءتنا النقدية للنسخ المترجمة، هذه عيّنة منها:

إن '**الحلو**' هو لقب 'عباس' أحد شخصيات رواية 'زقاق المدق'. و 'الحلو' في البيئة الشعبية المصرية يعني حلاق الحي، إلا أن المترجم الفرنسي تقلها بـ '**Abbas el helou**'، ظنا منه أن 'الحلو' ليس لقبا من الألقاب الشائعة في الحارة المصرية وإنما اسم الشخصية. أما المترجم الإنجليزي فقد نقلها بـ '**Abbas the Barber**' بمعنى 'عباس الحلاق '. وإن كان قد جرّد العبارة من شحنتها الدلالية

[3] Ladmiral, (Jean René), Lipiansky (Jean Marc), La communication interculturelle, collection Européenne des sciences de l'éducation, Armand Colin, Paris, 1989, p142.

ISSN : 1112 – 3974

في وسطها الشعبي إلا أن ترجمته أقرب للمعنى. والسبب في ذلك، دون أدنى شك مرده إلى احتكاك الانجليز بالمجتمع المصري، ومعايشته لعادته وتقاليده إبّان التواجد البريطاني في مصر.

ولعلُ الأمثلة التالية تزيد من التأكيد على هذا الافتراض:

' **حلفتك بالحسين** إلا ما جلست[4]

'**By our lord Hussein**, please stay rested' [5]

'**Par Hussein**, je te conjure de rester assis '[6]

لأن المترجم الإنجليزي أكثر احتكاكا بالثقافة العربية، فقد استوعب أن الحسين مقام عال عند المصريين، يستحضرونه دوما في كلامهم. وعليه فقد استطاع التمييز بين مقام الحسين و' حسين' الذي يعد شخصية من شخصيات الرواية، فلجأ إلى الإضافة حتى يقرّب المعنى للمتلقي الإنجليزي.

في حين لجأ المترجم الفرنسي إلى الترجمة الحرفية التي أبحرت به بعيدا عن مقاصد الكاتب في النص الأصلي، فأحدث تشويش في ذهن القارئ الذي يظن بأن 'حسين' شخصية الرواية هو مقام الحديث.

أما في رواية بداية ونهاية فقد ورد ما يلي:

'وأشار حسين إلى النجفة وقال بسذاجة: مثل نجفة **سيدنا الحسين** '[7]

'Pointing to the chandelier, Hassanin said: It's like the chandelier **in the mosque of Saidna el Hussein**'

'شي الله يا سيدي بدوي، لقد عشت في طنطا أعواما...'[8]

'**May the mercy of the saintly Sidi Badawi** be upon us, I've spent some years in Tanta…' [9]

لقد تعثر المترجمين في كل من النسختين الفرنسية والانجليزية لرواية 'زقاق المدق' في نقل العديد من الكلمات اللصيقة بالمجتمع المصري مما سبب انزلا قات دلالية أثرت بدرجة كبيرة على سياق النص.

---

[4] Midaq Alley, translated by Trevor Le Gassick, the American University Press, 10th printing, 1999, p 180.

[6] بداية ونهاية، دار مصر للطباعة، مكتبة مصر، الطبعة الرابعة عشر،1984، ص181.

[7] The Beginning and the End, translated by Ramses Awad, Mason Rositer Smith the American University in Cairo Press, 7th printing, 1998, p204.

[8] بداية ونهاية، ص199.

[9] The Beginning and the End, p 225.

ISSN : 1112 – 3974

فلفظة 'حارة ' عند نجيب محفوظ عالم مصغر للكون نجد فيها كل فئات المجتمع، قد نجد فيها المثقف والمتعلم والجاهل والمومس... غير أن المثال التالي يعكس لنا جليا المعنى السلبي الذي تحمله الذهنية الغربية عن الحارة:

'إني كما تعلمون مستقل، ولكن استظل بمبادئ سعد الحقيقية. ماذا أفادنا من الأحزاب؟ ألا تسمعون مهارتهم 'إنهم مثل:" (كاد يقول **أبناء الحواري** ثم تذكر أنه يخاطب بعضا من هؤلاء الأبناء فتدارك نفسه قائلا:) دعنا من ضرب الأمثال."[10]

"Comme vous le savez, je suis indépendant, mais je me réclame des vrais principes de Saad. A quoi nous ont servi les partis ? N'entendez- vous pas parler de leurs dissensions. Ils sont comme (il allait dire comme **des enfants des rues**, mais il se souvint à temps qu'il s'adressait à certains de ceux-là, aussi se reprit-il) mais laissons-là les comparaisons" [11]

« I am as you know, independent, but I will keep to the true principles of Saad Zaghloul. What good are the parties to us? Haven't you heard their constant senseless bickering? They are like: (he almost said **the sons of whores** but he checked himself and continued « let's not talk in metaphors »[12].

إن نقل المترجم الفرنسي 'أبناء الحواري ب **'enfants des rues'** لا يخدم المعنى لأن هذه العبارة تعني أبناء الشوارع أي أشخاص تربوا في الشوارع ولا تحكمهم أي قيم أو مبادئ، أما المترجم الإنجليزي فقد نقلها بـ **'sons of whores'** بمعنى أبناء البغايا أو أبناء الفاجرات. لكن الكاتب لم يقصد هذا المعنى بتاتا، لأنه أراد من خلال استعمال عبارة 'أبناء الحواري' التشبيه بينهم وبين زعماء الأحزاب في 'المُهاترة' أي المبالغة في الكلام والإدعاء بأشياء قد تكون خاطئة.

إن كلمة ' **فتوة** ' في لغة الضاد، مشتقة من 'فتى' وهو الشخص الذي يحمل خصال الرجولة والشهامة وقد تحولت هذه الكلمة بمرور الزمن إلى معنى آخر يدل على القوة العضوية والسلطة باستعمال العنف. وقد انتشر نظام 'الفتوة' في الحارة الشعبية المصرية وحمل معان متعددة، فقد يكون 'الفتوة ' "...

[10] Passage des Miracles, p 170.
[11] Midaq Alley, p 153.

ISSN : 1112 – 3974

حامي الحارة، وكان أغنياء الحارة يغدقون عليه بالهدايا الخاصة، وهذه ليست إتاوة، بل مقابل حماية الفتوة للحارة " [13]

وقد يكن معناها سلبيا ' فإذا ما فقد القوة، فقد معها سلطانه وأصبح على 'الحرافيش' أو ' الناس' أن تنتظر فتوة جديد يفرض عليهم قوته ونفوذه "[14]

ولعلّ الأمثلة التالية توضح لنا هذه المسألة:

' والله لو لم تكن **فتوة** لقلت لك اسكت...'[15]

'I swear by god', he said 'that if you weren't **a bully**, I'd asked you to shut up' [16]

' يقولون إنه **فتوة شديد البأس**'[17]

'They say that he is **a terrible bully**'[18]

فمن خلال السياق آثر المترجم ترجمة 'فتوة' بـ '**bully**' والتي تعني 'المتنمر المستأسد، حامي العاهرات '

أما في ملحمة الحرافيش فقد وردت العبارة التالية:

'...وفي المساء ترامت إليها أنباء بأنه يُكون عصابة لينصب نفسه **فتوة للحارة** '[19]

' The same evening, she heard that he had formed a gang to get himself appointed **chief of the local clan'** [20]

وهذا ما لا يناسب السياق لأن كلمة ' فتوة ' هنا وردت بمعناها السلبي ويكون من الأصح والأنسب نقلها بـ '**bully**' بدلا من '**chief**'

أما في رواية 'السراب" **يقول** محفوظ على لسان البطل:

---

[13] رجاء (النقاش) نجيب محفوظ، صفحات وأضواء جديدة على أدبه وحياته، القاهرة، مركز الأهرام لترجمة والنشر، الطبعة1- 1998، ص28.

[14] المرجع نفسه، ص 29.

[15] بداية ونهاية، ص 149.

[17] The Beginning and the End p 168.

[18] The Beginning and the End, p 178.

[19] **ملحمة الحرافيش، القاهرة، دار مصر للطباعة، مكتبة مصر، الطبعة الرابعة**، 1985، ص85.

[20] The Harafish, translated by Catherine Cobham, the American University in Cairo, Press, 7th printing, 1998, p55.

ISSN : 1112 – 3974

"وشدّ على يدي بامتنان، **فخلته** يشدّ على عنقي"[21]
'Il me serra la main avec gratitude, et je **le laissai** me donner l'accolade [22]'

إن لفظة خِلته تعني **حسبته وظننته** غير أن المترجمة قد قرأت 'خلتهْ ' عوض 'خِلته' ظنا منها أن محفوظ قد استعمل هذه الكلمة العامية المصرية التي تعني **تركته.** ولكن من المعروف أن نجيب محفوظ لا يستعمل العامية في أعماله إلا نادرا، وفي الخطاب المباشر**(discours direct)** لا في الحكي **(récit)** وقد ورد الخطأ عكسيا في رواية **السمّان والخريف**
' وموقفنا نحن، وموقف الأهالي التي **خربت بيوتهم**' [23]
'What about us and the people **whose houses have been destroyed'** [24]

فقد استعمل محفوظ عبارة 'خِربت بيوتهم' من العامية المصرية والتي تعني فقدوا كل ما كانوا يمتلكونه بينما ظن المترجم أنه كان يقصد 'خرّبت بيوتهم' بمعنى 'حطمت وانهارت' .
لقد أحصينا في روايات نجيب محفوظ المترجمة عدد لا يستهان به من الأخطاء، ولسنا نشك أن هناك غيرها مما لم نهتد إليه. لكن هل يكمن العيب في عملية الترجمة؟ أم في قدرات المترجم؟
إن الحضارات تتقارب وتتباعد فيما بينها وتتشابه وتختلف لغاتها في طرائق التعبير وأساليب الإفصاح عن الأفكار والمشاعر. ولا شك أن الترجمة في جوهرها هي عملية مقاربة ومقابلة بين طرائق وأساليب لغوية قد تتشابه حينا وتختلف أحيانا أخرى.
والمترجم لا يدخل النص على متن آلة فتُغيّره بعد وقت وجيز بنص آخر بلغة أخرى، بل أنه يتعامل من خلال ظروف وان بدت متنوعة ومتباينة إنما هي تصب في نقطة واحدة. ومع ذلك تبقى مهمة الترجمة الأدبية من المهام الشاقة التي تتطلب الكثير من المهارات اللغوية والفنية والأدبية وتقليب الرأي قبل وضع الصياغة النهائية. وحسبنا نقول إنه لولا الترجمة والمترجمين لما وصل أديبنا العظيم، نجيب محفوظ، إلى العالمية.

---

[21] **السراب، دار مصر للطباعة، مكتبة مصر، الطبعة الثانية عشر، 1984، ص** 142

[22] Les Chimères, roman traduit par France Douvier Meyer, Denoël, 1992.

[23] **السّمان والخريف، القاهرة، دار مصر للطباعة، مكتبة مصر، الطبعة الثامنة، 1984، ص1**

[24] Autumn Quail, translated by Roger Allen, The American University Press, 6th printing, 1998, p18

ISSN : 1112 – 3974

References

[1] Ballester C.; Chamorro M., (1993). La traducción como estrategia cognitiva en el aprendizaje de segundas lenguas, in: *El español como lengua extranjera: de la teoría al aula*, ASELE, 393-402.

[2] Mahfouz, N. (1989). *Passage des Miracles*, Roman traduit de l'Arabe par Antoine Cottin, La bibliothèque Arabe Sindbad, 4eme Édition, Paris.

[1] ------ (1994). *Midaq Alley,* translated by Trevor Le Gassick, the American University Press. 10th printing, 1999.

[2] ------ (1998). *Autumn Quail*, translated by Roger Allen, The American University Press, 6th printing.

[3] ------ (1998). *The Beginning and the End*, translated by Ramses Awad, Mason Rositer Smith, the American University in Cairo, Press, 7th printing.

[4] ------ (1998). *The Harafish*, translated by Catherine Cobham, the American University in Cairo, Press, 7th printing.

[5] ------ (1992). *Les Chimères.* Roman traduit par France Douvier Meyer, Denoël.

[6] Beman, A. (1998). *La traduction et la lettre ou l'auberge du lointain***.** coll. L'ordre philosophique, seuil, Paris.

[7] Delisle, J. (1998). *Séminaire Doctorale de l'ETIB.* Avril.

[8] Ladmiral, J-R. (1989). Lipiansky, (Jean Marc). *La communication Interculturelle.* Collection Européenne des Sciences de l'Education, Armand Colin, Paris.

[9] Maḥfūẓ (Najīb) : Zuqāq al-Maddaq, al-Qāhirah, Dār Miṣr lil-Ṭibā'ah, Maktabat Miṣr, al-Ṭab'ah al-'āshirah, 1982.

[10] ------ (1984). Bidāyh wa-nihāyat, Dār Miṣr lil-Ṭibā'ah, Maktabat Miṣr, al-Ṭab'ah al-rābi'ah 'ashar.

[11] ------ (1984). Al-sarāb, Dār Miṣr lil-Ṭibā'ah, Maktabat Miṣr, al-Ṭab'ah al-thāniyah 'ashar.

[12] ------ (1984). alssmān wa-al-kharīf, al-Qāhirah, Dār Miṣr lil-Ṭibā'ah, Maktab Miṣr, al-Ṭab'ah al-thāminah.

[13] ------ (1985). Malḥamat al-ḥarāfīsh, al-Qāhirah, Dār Miṣr lil-Ṭibā'ah, Maktabat Miṣr, al-Ṭab'ah al-rābi'ah.

[14] Rajā' (al-Naqqāsh) (1998). Najīb Maḥfūẓ, Ṣafaḥāt wa-aḍwā' jadīdah 'alá adabuh wa-ḥayātuhu, al-Qāhirah, Markaz al-Ahrām li-tarjamat wa-al-Nashr, alṭb't1.

ISSN : 1112 – 3974